المحاضرة الرابعة عشرة: الإيقاع الشعري

1- مفهومه

2- ركائزه

3- أقسامه

الإيقاع الشعري:

1-مفهومه:

يدور مفهوم الإيقاع عموما حول انتظام مجموعة من الأصوات وترتيبها بانسجام يترك عذوبة في أذن المتلقي، تجعله يستلطفه ويستمتع بالاستماع إليه. ولذلك ربطه ابن منظور في معجمه "لسان العرب" باللحن والغناء.[1]

والإيقاع مصدر أوقع؛ كمن يوقع النّقر أو الضرب على الطبلة بإتقان مع الأصوات والألحان[2].

ويروى أنّ الخليل بن أحمد قد ألف كتابا في النغم والإيقاع كما ألف كتاب العروض ، وهذا ما يجعل الإيقاع مرتبطا بالعروض أيما ارتباط، ولا أدل على ذلك من أنّ أهم صفة في الشعر العربي هي انتظام الحركات والسكنات بشكل متناسق يجعلها إيقاعا خاصّا بالأصوات اللغوية (phones) قسيما للإيقاع العام للأصوات غير اللغوية (sons).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأنّ الإيقاع الشعري هو انتظام سلسلة صوتية لغوية مركبة من حركات وسكنات في قالب محدد، تطرب لها الأذن وتستعذبها النفس، وكلّ تغيير غير منسق يطرأ عليها يخلّ باتّزانها فترفضه الأذن الذواقة والخبيرة.

وبما أنّ البيت الشعري – الوحدة الأساس في القصيدة الشعرية- مركّب من وحدات صوتية لغوية ومقاطع صوتية إيقاعية منسجمة يصطلح عليها عروضيا بالتفعيلات[3]، اصطلح على الفن الذي يهتم بهذا الناحية منه علم الإيقاع أو الإيقاع الشعري.

---

[1] – لسان العرب، 263/15.

[2] – ينظر: رشاد الدين مؤنس، المرام في المعاني والكلام القاموس الكامل، دار الراتب، ط1، 2000، ص:150.

[3] – علم العروض والقافية، ص11.

وقد ربط بعض علماء الأوزان الإيقاع الموسيقي العام بالإيقاع الشعري الخاص من خلال ثلاثة عناصر رئيسة، هي: السبب والوتد والفاصلة[1].

فالسبب أصغر مقطع صوتي مكون من حركتين أو من حركة فسكون؛ والوتد أكبر منه فهو مكون من حركتين فسكون أو من حركتين يتوسطهما سكون؛ وأمّا الفاصلة فتجمع نوعي السبب معا أو سببا ووتدا. وهي أكبر مقطع صوتي في الشعر العربي.

وهذه العناصر الإيقاعية قد تكون متساوية في الشعر عامّة لا الشعر العربي؛ فقليلا ما نجد أبيات قصيدة واحدة متساوية في الحركات والسكنات بل أكثر ما نجده منها متقاربا لا متطابقا.

فنجد بيتا تضمن تفعيلة سليمة في موقع ما، بينما نجدها مزاحفة أو معلولة في بيت آخر.

فنجد للتفعيلة الواحدة أكثر من إيقاع في القصيدة نفسها، لأنّ الإيقاع هو " التلوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها"[2].

ويؤدي هذا الإيقاع المنتظم دورا بارزا في اتّساق أجزاء القصيدة الشعرية، وأثرا بالغا في الجانب الفنّي منها.

2- ركيزتا الإيقاع الشعري العربي:

يذكر بعض علماء الشعر للإيقاع الشعري ركيزتين[3] لا يستغني عنهما الجانب الموسيقي فيه؛ هما: نظام تتابع المقاطع الصوتية، والنغمة الموسيقية المصاحبة للإيقاع أثناء القراءة والإلقاء.

أمّا الأولى فهي ذلك الاتّساق الملاحظ على أجزاء البيت الشعري، وأمّا الأخرى فهي ما

---

[1] – ينظر: أحمد رجائي، أوزان الألحان بلغة العروض، ص130.

[2] – عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، ط1، 1974، ص376.

[3] – ينظر: صلاح يوسف عبد القادر، في العروض والإيقاع الشعري، ص159.

يعرف بالتنغيم[1] في علم الأصوات، ويظهر أثناء الإنشاد والتغنّي.

3-أقسام الإيقاع:

للإيقاع الشعري قسمان رئيسان؛ داخلي وخارجي:

أ/- الخارجي:

ويتضمّن أوزان العروض وموسيقاه وقافيته، والعلاقات بين الوحدات الصوتية الشعرية ومقاطعها.

فتفعيلات البيت وأجزاؤه الصوتية تمثل الجانب المحسوس الظاهر للإيقاع الشعري.

ب/- الداخلي:

ويقصد به ذلك التعالق والانسجام بين الإيقاع الصوتي من جهة وبين دلالات التركيب الشعري، إضافة إلى تلك اللغة الشعرية التي تحفز خيال المتلقي، "" مما يخلق إيقاعا موجودا متجانسا، يرسم صلة متفاعلة بين بنية المنطوق وبنية المدلول، فيتحول النسيج الصوتي إلى تنغيم إيقاعي..."[2].

[1] - ينظر: فوزية عبادشي، شعرية الإنشاد عند محمود درويش، ص76.

[2] - الهاشمي علوي، فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، ص55-56.